وجه الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم عند الرماني في كتاب النكت

د.مسعود مرزوقي
كلية العلوم الإسلامية
-جامعة الجزائر -1

ملخص المقال:

تناول الرماني في رسالته «النكت في إعجاز القرآن « وجها من وجوه الإعجاز القرآني، وهو الإعجاز البلاغي، واتجه إلى الكشف عن هذا الجانب عن طريق هذه الألوان البلاغية العشرة، التي ركز عليها بغية الكشف على أسرارها الإعجازية معتمدا على جوانب فنية مثل الموازنة من أجل الوقوف على تفاضل الكلام عن الكلام،وسعى إلى إثبات هذا التفاضل بالتحليل والشواهد القرآنية، مبينا ما فيها من الأسرار البلاغية، وكذا موازنات بين النص القرآني وما قيل في معناها من كلام العرب ، البلاغية، يمكن حصر هذه الألوان في الصورة البيانية، والصورة الدلالية التركيبية، والصورة الصوتية، فهو يرى أن اسرار الإعجاز كامنة في هذا الجانب والجانب العلمي عنده ي يكمن أنه اعتمد على الشواهد القرآنية في الغالب.

مفاتيح المقال: . الرماني . النكت . وجه الإعجاز. البلاغة الرماني ومكوناته الثقافية

حياته:

هو أبو الحسن علي بن عيسى الرّماني النحوي المتكلم المعتزلي أحد الأئمة المشاهير،جمع بين علمي الكلام والعربية، وكانت ولادته ببغداد سنة ست وتسعين ومائتين للهجرة، وتوفي ليلة الأحد حادي عشر جمادي الأولى سنة أربع وثمانين وقيل اثنتين وثمانين وثلاثمائة ، للهجرة ببغداد أوسامراء وأصله من سُرَّ من رأى[1]، «أخذ الأدب عن أبي بكر بن دريد وأبي بكر بن السراج، وروى عنه أبو القاسم التنوخي، وأبو محمد الجوهري وغيرهما»[2].

آثاره الفكرية:

الرماني صاحب مصنفات في التفسير و اللغة والنحو والكلام ،ولعل ما كتبه من آثاروصل بعضها وغاب أكثرها، وقد ذكرت هذه الآثار عند أصحاب التراجم أمثال التوحيدي[3] ،ومن بين هذه الآثار رسالته في إعجاز القرآن، (النكت في إعجاز القرآن) .و هي رسالة إعجازية بلاغية تناول فيها الأسرار الخفية التي تدرك بالفطنة، وقد جاءت تلبية لمن سأله « سألت وفقك الله عن ذكر النكت في إعجاز القرآن دون التطويل بالحجاج »[4]، وقد وضع في هذه الرسالة منهجا محددا سار عليه، وحصروجوه الإعجاز البلاغي في سبع جهات، وقد بدأ الحديث عن الوجه الرابع من هذه الوجوه، فقال:« والبلاغة على عشر أقسام الإيجازوالتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس

---

(1)أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان ، تحقي: إحسان عباس، دارصادر، بيروت عام:1972م، دون ذكرالطبعة،ج3،ص:299

(2)المصدرنفسه ،ج3،ص:299

(3)-أبو حيان التوحيدي ،الإمتاع والمؤانسة،راجعه/هيثم خليفة الطعيمي، المكتبة العصرية،بيروت ،لبنان،ط1،عام:2011م،ص:103.

(4)أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ،النكت في إعجاز القرآن،جاء في ثلاث رسائل،تحقيق: محمد خلف الله أحمد،ومحمد زغلول سلام،دار المعارف، مصر، ط3، سنة:1976م، ص:75.

والتصريف والتضمين والمبالغة،وحسن البيان »[1] والواضح أن الرماني قد عدل عن منهجه و بدأ بالبلاغة وهذا يظهر أهمية الجانب البلاغي عنده حيث يركز على الجانب التأصيلي للبلاغة قبل التحليل والاستدلال بالشواهد.

عرف البلاغة بقوله:« وإنما البلاغة إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ »[2]ولعله بهذا التعريف يهدف إلى تحقيق معنيين الأول: متعلق بالأثر النفسي للخطاب البلاغي،وقدرته على إيصال المعنى إلى قلب السامع، والمعنى الثاني: قدرة التعبير بالصورة ، ربما يعني المعنى الجمالي البلاغي الذي لا يتحقق إلا بانتظام اللفظ والمعني.

والبلاغة عنده على ثلاث طبقات وهي:« فأما البلاغة فهي على ثلاثة طبقات:منها ما هو في أعلى طبقة ،ومنها ما هو في أدنى طبقة ،ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة،فما كان في أعلاها طبقة فهو معجز،وهو بلاغة القرآن.وما كان منها دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس »[3]،

لذلك رأينا في هذا البحث العودة إلى مصب الأنواع البلاغية وترتيبها بحسب دلالتها فجاء بعضها في الصورة البيانية ،وبعضها في الصور الدلالية التركيبية[4]،وبعضها في الصورة الصوتية وعلى هذا المنهج نحلل هذه الفنون البلاغية.

---

(1) . المصدر نفسه ،ص:76

(2) - الرماني ،النكت في إعجاز القرآن المصدر نفسه ،ص:76.

(3) - المصدر نفسه ،ص:75.

(4) - ينظر: عبد الله عبد الرحمن أحمد بالنقيب، مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز، مرجع سابق،ص:52

الإعجاز بالصورة البيانية

أولا: الصورة التشبيهية

حاول الرماني إظهار أن تشبيهات القرآن الكريم تختلف عن التشبيهات المألوفة عند العرب من حيث كثرة المعاني المستنبطة منها.لذلك وضع لنفسه منهجا، فقد نظر إلى التشبيه نظرة جديدة لعلها هي النظرة التي أهتم بها العلماء من بعده، والتشبيه عنده نظري، وتطبيقي، فأما الجانب النظري تحدث فيه عن التشبيه وبلاغته، فعرّفه بأنه: « العقد على أنّ أحد الشيئين يسدّ مسدّ الآخر في حسّ أو عقل »[1]، وهو تعريف يحتاج إلى إيضاح في قوله : « يسدّ مسدّ الآخر « فهو لا يكاد يقول شيئا في تفسيره ومراده ، ولعل أقرب الشروح إلى الرماني ما جاء عن علي بن خلف في كتابه»مواد البيان» الذي عرف التشبيه بقوله : «التشبيه هو العقد على أن أحدا لشيئين يسد مسد الآخر ويقوم مقامه في المشاهدة حتى لو عدّم أحدهما ووجد الآخر لم يكن بينهما تباين في الحقيقة كجسمين من فضة، وجسمين من صفرٍ فهذا أصل الشبه، {ربما التشبيه} »[2]،فهو أقرب من يوضح فكرة الرماني في نيابة أحد طرفي التشبيه عن الآخر وقيامه مقامه فقال:« وأما التشبيه الحسي فكماءين وذهبين يقوم أحدهما مقام الآخر »[3] وإنما قصد أن الطرفين يسد أحدهما مسد الآخر في الصفة المشتركة بينهما، أو وجه الشبه،ثم أن الرماني قسم التشبيه إلى قسمين الأول: تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما، مثل تشبيه الجوهر بالجوهر، وتشبيه السواد بالسواد، الثاني: تشبيه شيئين مختلفين لمعنى مشترك بينهما، مثل تشبيه الشدة بالموت والبيان بالسحر الحلال[4]،يقول محمد أبوموسى « وتشبيه الشيئين المتفقين بأنفسهما تشبيه

(1) . الرماني، النكت في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص:80.

(2) . علي بن خلف الكاتب،مواد البيان،تحقيق:حاتم صالح الضامن،دار البشائر، دمشق، سوريا، ط1، عام:2003م، ص:134.

(3) . الرماني، النكت في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص:80.

(4) . ينظر:المصدر نفسه، ص:81.

الحقيقة وهو المقابل لتشبيه البلاغة وتشبيه الحقيقة لم يهتم به؛ لأنه ليس له أثر في تلوين المعنى»[1].

والتشبيه عند الرماني طبقات فأعلاه طبقة التشبيه الذي ورد في القرآن الكريم، وما دونه فهو في كلام الناس، ثم يفصل القول في تشبيه البلاغة وهو أهم أقسام التشبيه عنده ولعله هو الذي يسمّيه «*التشبيه البليغ*» *وهو على* وجوه أربعة هي:

أما الوجه الأول: إخراج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه،ومثاله قوله تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩ ﴾[2]، قال الرماني: « فهذا بيان قد أخرج مالا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه وقد اجتمعا في بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة، ولو قيل يحسبه الرائي ماء، ثم يظهر أنه على خلاف ما قدّرلكان بليغا، وأبلغ منه لفظ القرآن؛ لأن الظمآن أشد حرصا عليه وتعلق القلب به، ثم بعد هذه الخيبة حصل على الحساب الذي يصيره إلى عذاب الأبد في النار. نعوذ بالله من هذه الحال ـ وتشبيه أعمال الكفاربالسراب من حسن التشبيه فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم وعذوبة اللفظ وكثرة الفائدة، وصحة الدلالة ».[3]

تناول التشبيه من زوايا متعددة ، حيث أبرز الأمر المعنوي في صورة حسية فأعمال الكافرين الذين يأملون نفعها كالإحسان وصلات ذي القربى لا يجدون لها جزاء يوم القيامة حينما يكونون في أشد الحاجة إلى الجزاء وهذه الصورة أظهرها التشبيه في صورة السراب الذي يخيل في الصحراء أنه ماء فيتعلق به الظمآن الملهوف، الذي كلما جدّ في سعيه اشتد ظمأه،حتى إذا

(1) - محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، مكتبة وهبة، مصر، ط.2: 1998، ص.98.

(2) . سورة النور، الآية:39

(3)- الرماني، النكت في إعجاز القرآن ، مصدرسابق ، ص:83.

وصل لم يجده شيئا،بل يجد هولا رهيبا[1]، ثم ركز على وجه الشبه، فقال: «وقد اجتمعا في بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظم الفاقة ».[2]

الوجه الثاني: إخراج ما لم تجربه عادة، إلى ما جرت به عادة مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾[3]، يقول الرماني: « وهذا بيان قد أخرج ما لم تجربه عادة إلى ما قد جرت به العادة، وقد اجتمعا في معنى الارتفاع في الصورة، وفيه أعظم الآية لمن فكر في مقدورات الله تعالى عند مشاهدته لذلك، أوعمله به ليطلب الفوز من قبله، ونيل النافع بطاعته»[4]، صورة رفع الجبل فوق رؤوس اليهود شيء ليس واضحا في التصور« لأننا لم نرقط جبلا قد اقتلع من مكانه، ورفع فوق رؤوس قوم كما حدث لليهود حين تمردوا على أحكام التوراة، فقد حدث أن رفع الله الطور على رؤوسهم بمقدارعسكرهم ، وقيل لهم إن قبلتموها بما فيها، وإلا ليقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل خركل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر، وهوينظربعينه اليمنى إلى الجبل خوفا من سقوطه ..وهكذا قال الزمخشري، ولما كانت الصورة المظلمة غير مألوفة في مجاري العادات ألحقها القرآن بصورة المظلمة أي كل ما أظل من سقف أوغيره، وهي صورة شديدة الإلف، وهكذا ينتقل المشبه من الغرابة والغموض إلى الإلف والوضوح »[5] صورة موغلة في الحسية،وإن كان الجبل مما يدرك ويحس، إلا أن قلعه من مكانه ورفعه على بني إسرائيل لم تجربه العادة[6].

(1) -. انظر:محمد محمد أبو موسى، الإعجازالبلاغي، مرجع سابق،ص:101.
(2) - الرماني ، النكت في إعجازالقرآن 'صدرسابق، ص:82.
(3) -سورة الأعراف، الآية:171.
(4) - الرماني، النكت في إعجازالقرآن 'صدرسابق، ص:83
(5) - محمد محمد أبو موسى، الإعجازالبلاغي، مرجع سابق، ص:106.
(6) -. ينظر:عبد الله عبد الرحمن أحمد بالنقيب، مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز،مرجع سابق ،ص:61.

الوجه الثالث: إخراج ما لا يعلم بالبديهة، إلى ما يعلم بالبديهة، والمراد بذلك التقريب بين طرفي التشبيه، وقد استدلّ الرماني بقوله تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ ﴾[1]، يقول الرماني:«فهذا تشبيه قد أخرج مالا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم، و في ذلك البيان العجيب بما قد تقرر في النفس من الأمور،والتشويق إلى الجنة بحسن الصفة مع مالها من السعة،وقد اجتمعا في العظم »[2]، التشبيه وضّح الصورة في النفوس حتى كأنها من الأمور البديهية والمعلومة بالضرورة فكان هذا العرض أرحب وأفسح ما تعرفه النفوس وتحسه إحساسا عميقا لأن الصورة تصف بعدا فسيحا لعرض الجنة من غير معاناة في التصوير.

الوجه الرابع: والوجه الرابع: إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ماله قوة في الصفة، وقد استدل على هذا الوجه بقوله تعالى:﴿وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٢٤ ﴾[3]، أي وله السفن الجاريات في البحار، المرفوعات القلوع كالجبال الشاهقة، شبه القرآن سفن البحر بالأعلام؛ لأنه أراد المراكب الكبار التي تقطع البحر وهي أشبه بالجبال الطويلة ، والصفة المشتركة هي العظم وهي في الجبال أقوى والمراد إظهار مظهر من مظاهر قدرة الله سبحانه وتعالى، أنه يُيَسِّر لهذه الجواري الضخمة الحركة على سطح الماء، ;قال الرماني: « فهذا تشبيه قد أخرج مالا قوة له في الصفة، إلى ماله قوة فيها، وقد اجتمعا في العظم، إلا أن الجبال أعظم. وفي ذلك العبرة من جهة القدرة فيما سخَّر من الفلك الجارية مع عظمها، وما في ذلك من الانتفاع بها، وقطع الأقطار البعيدة فيها »[4]، قال محمد الطاهر بن عاشور«تعظيم شأنها في صنعها المقتضي بداعة إلهام عقول البشر لصنعها، والمقتضي المنة بها؛لأن السفن

(1) - سورة الحديد، الآية:21.

(2) - الرماني، النكت في إعجاز القرآن مصدر سابق، ص:84

(3)- سورة الرحمن، الآية،24.

(4)- الرماني، النكت في إعجاز القرآن ’صدر سابق، ص:85.

العظيمة أمكن لحمل العدد الكثير من الناس والمتاع »[1]. لقد حدد الرماني وظائف الصورة ومقاصدها بغية إثارة هواجس النفس البشرية،وما يعتمل فيها من أهواء وكيف كانت الصور التشبيهية تنبض بالحركة وتتخيل في طبقتها المعاني، ومنابع الجمال في تلك التشبيهات ونفذ من خلالها إلى خلفيات الصورة البيانية في النص القرآني.

وبهذه النظرة العميقة للتشبيه، يكون الرماني قد فتح بابا جديدا في التشبيه، ومهد طريقا للبحث البلاغي أمام غيره من الباحثين.

ثانيا:الصورة الاستعارية

تناول الرماني الاستعارة، حيث عرفها، وفرق بينها وبين التشبيه،ثم بين أركانها وذكر لها أمثلة كثيرة من القرآن الكريم ،ودل عليها في كل مثال،ثم أثرها في أداء المعنى، والاستعارة عنده :« تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة »[2]، وهذا التعريف اعترض عليه فخر الدين الرازي وقال: « وهذا باطل من وجوه أربعة: »[3]، وتعريفه يظهر أن الكلمة علقت على غير ما وضعت له في أصل اللغة، ثم يبين الفرق بينها وبين التشبيه فقال: «والفرق بين الاستعارة والتشبيه أن- ما كان من التشبيه – بأداة التشبيه في الكلام فهو على أصله،لم يغير عنه في الاستعمال،وليس كذلك الاستعارة ، لأن مخرج الاستعارة مخرج ما العبارة ليست له في أصل اللغة »[4].

والرماني في بحثه يركز على استصحاب الأصل أو الحقيقة في تحليله لكل الصورة وغايته في ذلك إظهار بلاغة التعبير الاستعاري عند مقارنته بأصله

---

(1) - محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، د.ط.:1984 م'ج27'ص:252.

(2)-ا لرماني، النكت في إعجاز القرآن 'صدر سابق، ص:85

(3)- فخر الدين الرازي ،نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ،تحقيق :نصر الله حاجي،دار صادر، بيروت، ط1، عام:2004م، ص:133.

(4)- الرماني ،النكت في إعجاز القرآن ،مصدر سابق،ص:86.

الحقيقي، واستصحاب هذا الأصل في تحليل الكلمة المستعارة يؤكد حقيقة أن الرماني لم يكن يهدف بالاستعارة سوى الاستعارة التصريحية، وأما المكنية لا وجود لها في جميع ما أورده من شواهد.

وأما الجانب التطبيقي فقد وظف شواهد كثيرة من القرآن الكريم ، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾[1] قال الرماني: « حقيقة قدمنا هنا عمدنا، وقدمنا أبلغ منه لأنه يدل على أنه عاملهم معاملة القادم من سفر؛ لأنه عاملهم من أجل إمهاله لهم كمعاملة الغائب عنهم، ثم قَدِم فرآهم على خلاف ما أمرهم»[2]، ثم شرح السرفي أبلغية الاستعارة عن الحقيقة، وذكر المعنى الجامع بين الحقيقة والاستعارة، وبين فائدتها، وعلى هذه الطريقة سار في تحليل لكل شواهده التي جاء بها، أما قوله تعالى: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾﴾[3]، قال الرماني: « شهيقا حقيقته صوتا فظيعا كشهيق الباكي، والاستعارة أبلغ منه وأوجز والمعنى الجامع بينهما قبح الصوت (شهيقا) حقيقته: من شدة الغليان بالاتقاد، والاستعارة أبلغ منه، لأن مقدار شدة الغيظ على النفس محسوس، مدرك(مدى) ما يدعو إليه من شدة الانتقام، فقد اجتمع شدة في النفس تدعو إلى شدة انتقام في الفعل،وفي ذاك أعظم الزجر وأكبر الوعظ وأدل على سعة القدرة وموقع الحكمة »[4]

صورة سمعية وحركة قوية يسمع لها الكفار صوتا منكرا عند إلقائهم فيها، صوت النيران المشبوبة تهيج وتغلي حتى تكاد تتقطع من شدة الغضب عليهم، كما يلاحظ أن الرماني اهتم بالأثر النفسي للكلام البليغ ، فهذا الأثر في نظره يتسلل إلى النفس عن طريق حاسة السمع، أو البص، أو الذوق، أو غير ذلك.

(1)- سورة الفرقان، الآية:23.

(2)- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص:86.

(3)- سورة الملك ، الآية:7.

(4)- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص:87.

الإعجاز بالصورة الدلالية

أولا: الإيجـــاز

الإيجاز: هو أول وجه بلاغي تناوله الرماني بحسب ترتيبه، فعرفه بقوله: « الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى »[1] ثم وصفه أيضا بقوله: الإيجاز تهذيب الكلام بما يحسن به البيان، والإيجاز تصفية الألفاظ من الكدر وتخليصها من الدرن، والإيجاز البيان عن المعنى بأقل ما يمكن من ألألفاظ والإيجاز إظهار المعنى الكثير باللفظ اليسير[2]، وهو على نوعين: إيجاز الحذف، و قصر.

أولا: إيجاز حذف: « فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام »[3]، وهو على نوعين كما يتضح من شواهده.

النوع الأول: هو حذف المضاف، مثل قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾[4]، وكأنه قيل **«واسأل أهل القرية»**

والنوع الثاني: حذف الأجوبة، وهو أبلغ من الذك، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا۟ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾﴾[5].

« كأنه قيل لكان هذا القرآن »[6] ولم يقل ذلك ـ فجواب الشرط محذوف ومقدر. ولهذا تحليل يقول محمد أبو موسى:« كيف تذهب النفس في هذا

(1) - الرماني ، النكت في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص:76.

(2) ـ المصدر نفسه، ص:80.

(3) ـ المصدر نفسه، ص:76.

(4) ـ سورة يوسف، الآية:82.

(5) ـ سورة الرعد، الآية:31.

(6) ـ الرماني، النكت في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص:76.

الجواب كل مذهب، وليس لها في التعرف على الجواب إلا مذهب واحد؛لأن ما تقدم في جملة الشرط يشير إلى أن الجواب لا يكون إلا هذا القرآن، وذلك من حيث الإشارة الواضحة في الشرط إلى أن الكلام فيه من القوة، والطاقة الهائلة ما يجعله أقوى من الجبال والأرض والحياة والموت، فهو كلام تسير به الجبال ؛لأنه أقوى منها،وتقطع به الأرض، وتبطل به أعظم النواميس وأجلها وأغمضها حين تكلم به الموتى، والكلام الذي هذا حاله لابد أن يكون الكلام ذا قدرة فوق الجبال والأرض والكون، ولا يكون هذا إلا كلام اللّه، لأن الكلمة إنما تحمل طاقة قائلها، ولا يكون الكلام يحمل هذه القدرات الهائلة منبعثة من نفس ليس لها هذه القدرات»[1]

الثاني: الإيجاز بالقصر: فهو« بنية الكلام ،على تقليل اللفظ، وتكثير المعنى، من غير حذف »[2]، ثم قال أيضا: « وأما الإيجاز بالقصر دون الحذف فهو أغمض من الحذف وإن كان الحذف غامضا، للحاجة إلى العلم بالمواضع التي يصلح فيها من المواضع التي لايصلح »[3]، وهذه التسمية له وقد اعترف بذلك ابن سنان [4]، وقد مثل الرماني بشواهد متعددة لهذا الضرب من الإيجاز مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ﴾[5]، لقد جاءت هذه الآية بألفاظ قليلة، لكنها مستوعبة لمعان كثيرة، تدل على عظمة التعبير القرآني، وحتى يبرهن على ذلك عقد الرماني مقارنة بين الإيجاز في القرآن الكريم، والإيجاز في كلام العرب، وهم أفصح الناس وأبلغهم، ولإبراز التفاوت بينهما، مثل للقرآن

(1) . محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، مصدر سابق، ص:92.

(2) - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص:67.

(3) . مصدر سابق،نفسه، ص:77.

(4) . ابن سنان سرا لفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.1،2891م، ص:112.

(5) . سورة المنافقون، الآية:4

الكريم بقوله تعالى:﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[1]، ويمثل لبلاغة الناس من كلام العرب بقولهم: « القتل أنفى للقتل » ومثل هذا اللفظ مستحسن عند العرب حيث انتهى إلى أن إيجاز الآية أبلغ من إيجاز قول العرب وأن بينه وبين لفظ القرآن الكريم تفاوتا في البلاغة والإيجاز ويظهر ذلك في أربعة أوجه: «أنه أكثر في الفائدة، وأوجز في العبارة، وأبعد من الكلفة بتكرير الجملة، وأحسن تأليفا بالحروف المتلائمة[2].

وبذلك يكون الرماني في بحثه للإيجاز قد حرص على إظهار التفاوت بين بلاغة القرآن الكريم، وبلاغة كلام العرب الجاري على ألسنتهم، فهو كلام خال من كل تقصير وتطويل، مشحون بالإيجاز من غير إخلال باللفظ أو المعنى،وقد كانت للرماني لمحات جيدة في هذا الباب،استفاد منها كل من جاء بعده من البلاغيين

التصريف

يعد الرماني أول من أشار إلى أن التصريف في القرآن الكريم أبلغ من التصريف في كلام العرب، وهو من الأبواب الجديدة التي أضافها الرماني إلى بلاغة القرآن[3]، وهو على قسمين: تصريف معنى، وتصريف لفظ.

أولا: تصريف المعنى في المعاني المختلفة: يقول الرماني: « تصريف المعنى في المعاني المختلفة كتصريفه في الدلالات المختلفة وهو عقدها به على جهة التعاقب »[4]، وهذا يعني تصريف الألفاظ المشتركة في أصل واحد ويتضح ذلك في التصريفات المستخرجة من معنى «الملك» في معاني الصفات ، يقول الرماني: « فصرف في معنى مالك، وملك،وذي الملكوت والمليك وفي معنى

(1). سورة البقرة، الآية:179.

(2) - ينظر: الرماني، النكت في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص:77

(3)- المحمدي عبد العزيز الحناوي ، دراسات حول الإعجاز البياني في القرآن،دار الطباعة المحمدية الأزهر، مصر، عام:1984م، ص:101.

(4)- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص:101.

التمليك، والتمالك، والإملاك، والتملك، والمملوك »[1]، وكذلك تصريف معنى العرض:«في الأعراض،والاعتراض والاستعراض وبالتعرض والتعريض والمعارضة والعرض والعروض وكله منعقد بمعنى الظهور، ومن: أعرضت اليمامة، أي ظهرت وهو الأصل، ومنه أيضا الإعراض عن الإنسان لأنه انزواءٌ عن الظهور له، ومنه الاعتراض وهو ظهور ما يصد عن الذهاب ومنه الاستعراض للجارية، لأنه طَلَبٌ لظهورها للحاسة، ومنه، التعريض للآمر لأنه طلب لظهوره بالفعل، ومنه التعريض للنفع، لأنه يصير على السبب الذي به يقع ظهور النفع، ومنه المعارضة، لأنها مقابلة يقع منها ظهور المساواة، أو المخالفة، ومنه المعْرِض، لأن ظهور الشئ به أبين، ومنه العرض، لأنه على ظهور شئ لا يلبث، ومنه العَرُوض لأنه ميزان الشعر، يظهر به المنكسر من المتزن»[2]

ومن خلال تحليله الاشتقاقي يتبين أن الرماني يحاول إظهار فائدة هذا الضرب وما فيه من بيان عجيب، يظهر فيه المعنى بما يكتنفه من المعاني التي تظهره وتدل عليه.

ثانيا: تصريف المعنى في الدلالات المختلفة[3]، وقد ربط هذا التصريف بالقرآن الكريم،حيث أشار أنه جاء في القرآن في غير قصة، منها قصة سيدنا موسى عليه السلام التي جاءت مثلا لذلك التعدد الذي كان لغاية بلاغية، ولعل تسمية هذا الباب البلاغي بهذا الاسم «التصريف» له علاقة بالتفكير اللغوي، خاصة النحو والصرف،حتى وإن اتجه في دراسته إلى المعاني الناتجة من الأبنية، كما في الضرب الأول ،لا إلى دراسة الأبنية ذاتها كما في علم الصرف، ومثل هذا البحث تتضافر فيه جوانب متعددة: لغوية، وبلاغية ونحوية، وربما عقلية.

---

(1)-الرماني، النكت في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص:101.

(2)- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص:101.

(3)-المصدر نفسه، ص:101.

التضمين

التضمين وعند الرماني، تضمين الكلام عدة معانٍ دون ذكرها، أو التلفظ بها فقد عرفه بقوله: « تضمين الكلام هو حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم أوصفة هي عبارة عنه »[1]، أي: المعاني التي تفهم من الكلام ضمنا لا صراحة، مثل قوله تعالى﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾[2]، لقد تضمنت هذه الآية معاني زائدة على المعاني المعبر عنها بالألفاظ الداخلة في نظم الآية، والمدلول ظاهر من الآية يفيد طلب الهداية من الله عزّ وجلّ إلى الصراط المستقيم طريق غير المغضوب عليهم من اليهود، ولا طريق الضالين النصارى، هذه المعاني واضحة من الألفاظ الداخلة في نظم الآية، غير أنها قد تضمنت الوعد والوعيد، والتبشير والتحذير، دون التلفظ بها، لأن قوله: (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم﴾ فيه إشارة لطيفة إلى أن « من سلك الصراط المستقيم فهو ممن أنعم الله عليه، ومن أنعم الله عليه، سعد في الدنيا والآخرة، ومن سلك غير الصراط المستقيم فقد ضل واستحق من الله جل وتعالى الغضب»[3] فالتضمين عند الرماني ليس هو تضمين الكلام كلاما آخر لغيره، قصدا للاستعانة به على تأكيد المعنى المقصود، وإنما تضمين معاني زائدة دون التلفظ بها كما سبق وأوضحنا»[4].

---

(1)-الرماني ،النكت في إعجاز القرآن ،مصدر سابق،ص:102.

(2)-سورة الفاتحة، الآيات6-7.

(3) - شرح رسالة الرماني،(الشارح مجهول)، تحقيق، زكريا سعيد علي، دار الفكر العربي، بيروت، ط1: 1998م، ص:133.

(4) - حفان مليكة ، بلاغة الخطاب القرآني عند الرماني مقال منشور في منتدى الفصيح الربي، ص:26.

montadalfassih.blogspot.com/2008/04/blog-post.html

والتضمين عند الرماني على نوعين:

النوع الأول: مادل عليه الكلام دلالة إخبار، فلووصفنا شيئا بأنه محدَث «بفتح الدال، فإن ذلك يدل على» المحدِث «بكسر الدال فهذا يدل دلالة الإخبار، وكذلك سبيل المكسور ومنكسر، وساقط، ومسقط.

النوع الثاني: « وهو ما دل عليه الكلام دلالة قياس، وهو في كلام الله خاصة؛لأنه تعلى لا يذهب عنه وجه من وجوه الدلالات، فنصبه لها يوجب أن يكون قد دل عليها، وليس كذلك غيره من المتكلمين بتلك العبارة، لأنه قد تذهب إليه دلالتها من جهة القياس،ولا يخرجه ذلك عن أن يكون قد قصد بها عما وضعت له في اللغة»[1]. والرماني ربط بين التضمين وبين بلاغة القرآن التي جمعت ألوان البلاغة كلها، وأنه قسم التضمين إلى قسمين هما:

1 - تضمين توجبه البنية مثل الصفة بـ«معلوم» توجب أنه لابد من عالم وكذلك مكرم.

2 - تضمين يوجبه معنى العبارة من حيث لا تصح إلا به مثل:الصفة بـ (قاتل) يدل على مقتول، من حيث لا يصح معنى قاتل دون وجود مقتول،فهو دلالة التضمين.

وتضمين يوجبه معنى العبارة « من جهة جريان العادة كقولهم« الكُرُّ بستين»[2]،المعنى فيه «بستين دينارا «فهذا مما حذف وضمن الكلام معناه لجريان العادة به، والتضمين كله إيجاز استغنى به عن التفصيل، إذ كان مما يدل دلالة الإخبار في كلام الناس، فأما التضمين الذي يدل عليه دلالة القياس فهو إيجاز في كلام الله عزوجلّ خاصة،لأنه تعالى لا يذهب عليه من وجوه الدلالة فنصبه لها يوجب أن يكون قد دل عليها من كل وجه يصح أن

(1) - هناء القرشي مقال في موقع:
docx.egaz272/files/hfalqurashi/_/sa.edu.uqu.drive//:https
(2) -الكر، بالضم مكيال عند أهل العراق.

يدل عليه،وليس كذلك سبيل غيره من المتكلمين بتلك العبارة،لأنه قد تذهب إليه دلالتها من جهة القياس »[1].

وإذا كان الرماني يرى أن كل آية من آيات القرآن لا تخلو من تضمين معنى لم يذكر باسم أو صفة مثل: «بسم الله الرحمن الرحيم «قد تضمن التعليم لاستفتاح الأمور على التبرك به والتعظيم لله بذكره، وأنه أدب من آداب الدين وشعار للمسلمين، وأنه إقرار بالعبودية واعتراف بالنعمة التي هي من أجل نعمة، وأنه ملجأ الخائف،إلا أن البعض ويرى أن: « التصريف والتضمين كما أوضحهما ليسا من البلاغة، وإنما هما أقرب إلى ميدان علم الكلام الذي كأنه و واحدا من فرسانه، وليس هناك أدنى صلة بين « التضمين «عنده،وظاهرة (التضمين المعروفة في البديع) لهذا لم يعتد أحد من البلاغيين بهذين الوجهين ولا نكاد نرى لهما أثرا فيما نعرف من كتب التراث البلاغي» [2].

المبالغة

تناولها الرماني وعرفها بقوله: « المبالغة هي الدلالة على أكبر المعنى على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة»[3]، والواضح من هذا أنه يتفق مع ماذهب إليه قدامة بن جعفر، في الشق الأول، غير أن الجديد الذي ذكره الرماني ما جاء في الشق الثاني من التعريف في قوله:(على جهة التغيير عن أصل اللغة لتلك الإبانة) فالمبالغة عنده تتم من خلال التغيير الذي يطرأ على أبنية الأسماء في أصل اللغة وهذا الشق قد يجد من يجادله فيه، وقد يواجه بالرفض، وهذا ما اتضح عند شارح رسالة الرماني[4]، والمبالغة عنده جاءت على وجوه، حاول الرماني أن يعدد أنواعها التي استخرجها من القرآن الكريم منها:

(1) - الرماني ،النكت ،مصدر سابق،ص:103.

(2) -شفيع السيد، البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم،دار الفكر العربي،القاهرة،دون ذكر الطبعة والسنة ،ص:42

(3) - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص:104.

(4) - انظر:شارح رسالة الرماني(الشارح مجهول) مرجع سابق ،ص:134 - 135

أولا: المبالغة في الصفة المعدلة عن الجارية بمعنى المبالغة، وذلك على أبنية كثير مثل: (فعلان، وفَعَّال، وفعول، مِفْعَل، مفعال، ففعلان)، واستدل بقوله: « ففعلان كرحمان عدل عن راحم للمبالغة، ولا يجوز أن يوصف به إلا الله عزوجل، لأنه يدل على معنى لايكون إلا له، وهو معنى وسعت رحمته كل شيء، ومن ذلك فعال كقوله عزوجل: **(وإني لغفّارلّمن تاب وءامن وعمل صالحا ثم اهتدى)**[1]، معدول عن غافر للمبالغة، وكذلك تواب، وعلام، ومنه فعول كغفور وشكور»[2].

ثانيا: المبالغة في الصيغة العامة في موضع الخاصة كقوله تعالى: ﴿.... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾[3]، فقال الرماني: «وكقول القائل: أتاني الناس، ولعله أتاه «إلا» خمسة فأستكثرهم وبالغ في العبارة »[4].

ثالثا: إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم، الأكبر للمبالغة كقول القائل: «جاء الملك، إذا جاء جيش عظيم له»، ومنه قوله عزوجلّ: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾[5]، فجعل الرماني مجئ دلائل الآيات مجيئا له على المبالغة في الكلام ومنه أيضا قوله تعالى:﴿... وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾[6] أي أتاهم بعظيم بأسه فجعل ذلك إتيانا له على المبالغة.

رابعا: إخراج الممكن إلى الممتنع للمبالغة، نحو قوله تعالى:﴿.. وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾[7]،

(1) - سورة طه'الآية:82.
(2)- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص:104.
(3) -سورة الأنعام، الآية:101
(4) - شرح رسالة الرماني في إعجاز القرآن، مرجع سابق، ص:137.
(5) - سورة الفجر، الآية:20.
(6) - سورة النحل الآية:26.
(7) - سورة الأعراف، الآية: 40.

أي لا يدخل الجمل في سم الخياط، ولا يدخل هؤلاء الجنة، وأنما هذا على البعيد أما التسليم بما جاء به الرماني في هذا المقام « أنه إخراج الممكن إلى الممتنع يلزم التسليم بإمكانية دخول هؤلاء المخبرعنهم الجنة؟ومن يستطيع أن يسلم بذلك والله عز وجل يقول﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ﴾[1] ، وهذا الضرب يمكن أن يدخل تحت المبالغة بوصفها فنا بديعيا ويدخل الشاهد القرآني تحت مفهوم الغلو المستحسن .

خامسا: إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل والمظاهرة في الحجاج، فمن ذلك قوله تعالى:﴿ وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ ﴾[2]. إن المبالغة في العدل غرض من الأغراض التي تُستفاد من هذه الطريقة في التعبير « التي تخرج الكلام مخرج الشك، فليست المبالغة هنا أسلوب بديعيا، فما ذكرلا يدرج ضمن أي قسم من أقسامها الثلاثة بوصفها فنا بديعيا»[3].

سادسا: حذف الأجوبة للمبالغة كقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾[4] ومنه قول تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾[5]، يقول الرماني « كأنه قيل: لجاءَ الحقُّ أولعَظمُ الأمرأولجاء بالصدق،كل ذلك يذهب إليه الوهم لما فيه من التفخيم والحذف أبلغ من الذكر، لأن الذكر

(1) - سورة الأعراف، الآية: 41.

(2) - سورة سبأ، الآية:23.

(3) - انظر: عبد الله عبد الرحمان،أحمد با نقيب، مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجازمرجع سابق،ص:110.

(4) - سورة الأنعام الآية:27..

(5) - سورة الأنعام الآية:27..

يقتصر على وجه، والحذف يذهب فيه الوهم إلى كل وجه من وجوه التعظيم لما قد تضمنه من التفخيم»[1]. والواضح أن المبالغة جاءت غرضا لهذا الأسلوب من التعبير – أسلوب الحذف - وليست فنا بديعيا كما هو عليه في علم البديع ،وهذا يؤكد أن المبالغة في هذا المقام جاءت غرضا أسلوبيا ناتج عن أسلوب الحذف[2]

والواضح « أن المبالغة جاءت غرضا لهذا الأسلوب من التعبير-أسلوب الحذف-وليست فنا بديعيا »[3]، ولعله كان يبحث عن المبالغة كنتيجة تستقى من الكلام،لا طريقة في التعبير.

حسن البيان

تناول الرماني البيان وعرفه بقوله: « الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره في الإدراك »[4]، وهذا وصف عام يشمل كل أقسام البيان،أو أصناف الدلالات التي ذكرها السابقون(كلام وحال وإشارة وعلامة) غير أن الرماني يخصص الحديث في قسم واحد وهو الكلام ،وبذلك يكشف عن وجهة نظره من البيان أنه يكون بالكلام وليس بغيره، وتلك هي غايته، لأنه يتحدث عن الإعجاز في القرآن الكريم وفيه يتجلى الإعجاز البلاغي لا في غيره من الدلالات التي تناولها القدماء، وبذلك يقصر البيان على ما حسن من الكلام، والكلامُ عنده على وجهين: « كلام يظهر به تميز الشيء عن غيره فهو بيان، وكلام لا يظهر به تميز الشيء فليس ببيان كالكلام المخلط والمحال الذي لا يفهم به معنى، وليس كل بيان يفهم به المراد فهو حسن من قبل أنه قد يكون على عي

(1) - انظر الرماني، النكت في إعجاز القرآن الكريم، مصدر سابق، ص:105 - 106.

(2) - انظر: عبد الله عبد الرحمان،أحمد با نقيب، مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز مرجع سابق،ص:110

(3) - انظر الرماني، النكت في إعجاز القرآن الكريم، مصدر سابق، ص:110

(4)- المصد نفسه،ص:106.

وفساد »[1]، ثم ذكر مثالين الأول هو كلام السوادي، والثاني باقل حيث أشار إلى كلام السوادي بالقبيح الفاسد حتى وإن فهم منه المراد وأبان عن معنى الجواب،وأما باقل قال الرماني: « فهذا وإن كان قد أكد للإفهام فهو أبعد الناس من حسن البيان »[2] والرماني في رفضه إطلاق اسم البيان على كلام السوادي وباقل، إنما يستند في ذلك إلى مدح الله تعالى للبيان حيث قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾[3]، وغرضه من المثلين اللذين أشار إليهما هو الوصول إلى تنزيه كلام الله عزوجل،وتأكيد البيان القرآني الذي هو في أعلى طبقات البلاغة،حتى يصل إلى غايته قال: « ولكن إذا قيد بما يدل على أنه يعني به إفهام المراد جاز»[4]، والواضح من كلام الرماني أنه يقسم الكلام من حيث البيان إلى ثلاثة أقسام: قبيح كقول السوادي وباقل، متوسط وهو الذي يقيد بما يدل على فهم المراد، حسن وهو الذي يستحق اسم البيان، ثم تأتي المرتبة العالية من مراتب حسن البيان وهي غايته ،لأنها مرتبة مختصة بكلام الله عزوجل،وهي أعلى طبقات البلاغة (القرآن كله في نهاية حسن البيان)[5] ثم يقول بعد ذلك «وحسن البيان في الكلام على مراتب: فأعلاها مرتبة ما جمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن في السمع ويسهل على اللسان وتتقبله النفس تقبل البرد ، وحتى يأتي على مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة »[6]، ثم بعد هذا يستكمل حديثه عن البيان وقصر البيان على ما حسن من الكلام ،ثم يقسم البيان من حيث الدلالة إلى قسمين هما:

---

(1)- الرماني، النكت في إعجاز القرآن الكريم، مصدر سابق ص:106

(2)- المصدر نفسه ،ص:106

(3) - سورة الرحمن، الآيات:1 إلى 4

(4) - الرماني، النكت في إعجاز القرآن الكريم، مصدر سابق، ص: 106.

(5) - المصدر نفسه،ص:106

(6) - المصدر نفسه ،ص:107

الأول: يدل على المعنى بالاسم أو الصفة،

الثاني: يدل على المعني بالتأليف من غير اسم للمعنى أو الصفة فقولك (غلام زيد) تأليف يدل على الملك من غير ذكر له باسم أوصفة، لقد أشار من قبل في باب التضمين، ولعله في هذا المقام يود التوكيد على علاقة التضمين والتصريف « ودلالة الاشتقاق كدلالة التأليف في أنه من غير ذكر اسم أوصفة كقولك قاتل تدل على مقتول وقتل من غير ذكر اسم أوصفة لواحد منها ولكن المعنى مضمن بالصفة المشتقة وإن لم تكن له »[1]، ثم يقرر الرماني أن « القرآن كله في نهاية حسن البيان »[2]، وبعد ذلك يستدل بكثير من الآيات الكريمة موضحا جهة الحسن فيها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٢٥ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٢٦ ﴾[3]، قال الرماني: «فهذا بيان عجيب يوجب التحذير من الاغترار بالإهمال »[4]، ثم قال :﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٠﴾[5]، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤ ﴾[6]، قال الرماني: « فهذا من أحسن الوعد والوعيد »[7]. وكذلك قوله تعالى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢ ﴾[8]،، وبعد هذا يتضح أن رؤية الرماني تقوم أساسا على قدرة صياغة المعاني وقدرة إبرازها في أسلوب عذب ،ومثل هذا البيان في حسن التأليف لا نجده إلا في الأسلوب القرآني.

---

(1) - المصدر نفسه ،ص:107

(2) - المصدر نفسه ،ص:107

(3) - سورة الدخان،الآية:25 - 26.

(4)- الرماني ، النكت في إعجاز القرآن، مصدر سابق ، ص:107

(5)- سورة الدخان ،الآية:40

(6)- سورة الدخان ،الآية: 51

(7)- الرماني ، النكت في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص:107

(8)- سورة الأنبياء، الآية: 22

الإعجاز بالصورة الصوتية

التلاؤم:

التلاؤم من المباحث التي تشكل البناء الصوتي في رسالة الرماني فهو أول مبحث صوتي في هذه الرسالة، ثم أتبعه بالفواصل، والتجنيس، ثم التصريف، وهي بلا شك تكون جزءا من بلاغة البناء الصوتي وقد اشتملت دراسته لهذا الباب على تعريف التلاؤم وبيان أسبابه، وفائدته، وعرض للتنافر وأسبابه وبين أقسام التأليف وهو عنده نقيض التنافر يقول الرماني في تعريفه للتلاؤم: « والتلاؤم تعديل الحروف في التأليف »[1] وهو عنده نقيض التنافر وهنا تستوقفنا ثلاثة ألفاظ في تعريفه وهي(التعديل) و(حروف) و(تأليف) فلفظة التعديل في هذا المقام تجمع بين وجهين:

أحدهما: تناوله الرماني بقوله: « التعديل من غير بعد شديد أو قرب شديد »[2] فهي متعادلة بين البعد والقرب في المخارج، أما الثاني فهو تعديل في الألفاظ من حيث الطول والقصر، فكلما كان عدد الحروف أقل كان اللفظ حسن في السمع، والسهولة في النطق، ونعتقد أن التعديل في هذا المقام لا يشكل قاعدة عامة، لأن هناك من الألفاظ القرآنية فيها تألف بين أصوات متقاربة المخارج مثل قوله تعالى: ﴿ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ ﴾[3]، فلفظ العهن تجاور فيه، العين والهاء وهما من أصوات الحلق وآثر القرآن هذه اللفظة على غيرها مثل: (الصوف) لأنها جاءت معبرة تعبيرا دقيقا في المعنى المقصود، ثم أنها جاءت في صيغة المفرد فقد وصفت بلفظ (المنفوش) لدلالة على الحجم الصغير والوزن الخفيف.

---

(1)- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص:94.

(2)- مصدر نفسه، ص96.

(3)- سورة القارعة، الآية :5

أما الوجه الثاني: فإنه لا يشكل قاعدة ثابتة،لأننا نجد في القرآن ألفاظا طويلة مثل قوله تعالى ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾[1]، وكذلك قوله تعالى:﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾[2]، والقرآن الكريم لا يخضع للقواعد البشرية،بل من القرآن تأخذ القواعد ،وقسم الرماني التلاؤم إلى ثلاثة أقسام هي:تلاؤم أصوات حروف اللفظة الواحدة مع بعضها، تلاؤم اللفظة مع الألفاظ الأخرى في التركيب، تلاؤم الألفاظ مع المعاني[3]، وهو تقسيم ينسجم مع ما ذكره بقوله: « والتأليف على ثلاثة أوجه: متنافر، متلائم في الطبقة الوسطى، متلائم في الطبقة العليا»[4]، وهذا يقابل طبقات البلاغة التي ذكرها في البداية، ،حيث أن المتنافر يقابله من البلاغة ما هو أدنى طبقة، والمتلائم في الطبقة الوسطى يوازيه من طبقات البلاغة ما هو في الوسط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة،والمتلائم في الطبقة العليا يقابل من طبقة البلاغة ما هو في أعلى طبقة.[5]

ويرى البعض في تقسيمه فسادا:« وهذا الذي ذكره غير صحيح، والقسمة فاسدة وذلك أن التأليف على ضربين: متنافر، ومتلائم، وقد يقع في المتلائم ما بعضه أشد تلاؤما من بعض على حسب ما يقع التأليف عليه، ولا يحتاج أن يجعل ذلك قسما ثالثا، كما يكون من التنافر بعضه أشد في التنافر وأكثر من بعض، ولم يجعل الرماني ذلك قسما رابعا»[6]. ومثل هذا الكلام ظاهر

---

(1)- سورة النور، الآية:57.

(2)- سورة البقرة 'الآيات:56.137 .

(3)- انظر: عبد القادر عبد الله فتحي الحمداني، البلاغة القرآنية في نكت الرماني، دار غيداء للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.ط.1: 2014م، ص:233.

(4) . انظر: الرماني، النكت في إعجاز القرآن، مصدر سابق'ص:95.

(5) . انظر، المصدر نفسه'ص:75.

(6)- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة،دار الكتب العلمية،بيروت،ط1،عام:1982م ،ص:99.

الفساد واضح البطلان،والصحيح ما ذهب إليه الرماني؛لأننا لا نجد في مختار الكلام من الأثر النفسي والعقلي والسمعي ما نجده عندما نقرأ سورة من سور القرآن الكريم،ولا نشعر عند قراءة أرقى كلام بشري بما نشعر به عندما نقرأ آيات من القرآن الكريم، وهذا وحده كاف في أبطال ما قاله الخفاجي[1].

ويتحدث الرماني عن *التلاؤم والتنافر* فقال: « والسبب في التلاؤم تعديل الحروف في التأليف، فكلما كان أعدل كان أشد تلاؤما، وأما التنافر فالسبب فيه ما ذكره الخليل من البعد الشديد أو القرب الشديد وذلك أنه إذا بعد البعد الشديد كان بمنزلة الطفر، وإذا قرب القرب الشديد كان بمنزلة مشى المقيد، لأنه بمنزلة رفع اللسان ورده إلى مكان، وكلاهما صعب على اللسان، والسهولة من ذلك في الاعتدال »[2].

و الرماني لم يقل أن قرب المخارج، أو بعدها، يسبب التنافر على الإطلاق، لأنه قد تكون المخارج متباعدة، أو متقاربة، ولا يوجد تنافر، ثم أن الرماني أحسن عندما جعل الإحساس بالتنافر، أو التلاؤم ،متباينا بين الناس، قد يكون بعضهم أشد إحساسا بذلك، وفطنة له من بعض، كما أن بعضهم أشد إحساسا بتمييز الموزون في الشعر من المكسور منه.

لقد جعل الرماني للذوق، والطبع والإحساس دخلا كبيرا في الحكم على التأليف بالتلاؤم، أو التنافر إلى جانب قرب المخارج وبعدها يقول الرماني: « ومخارج الحروف مختلفة، فمنها ما هو من أقصى الحلق، ومنها ما هو أدنى الفم، ومنها ما هو في الوسط بين ذلك، والتلاؤم في التعديل من غير بعد شديد أو قرب شديد، وذلك يظهر بسهولته على اللسان، وحسنه في الأسماع، وتقبله في الطباع، فإذا انضاف إلى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في

(1)- انظر: محمد محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي، مرجع سابق، ص:147.
(2)- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص:96.

أعلى الطبقات، ظهر الإعجاز للجيد الطباع البصير بجواهر الكلام»[1]، والذي دلنا أن المراد « بالتأليف» في كلام الرماني : هو تأليف في الكلام بين الكلمات والشاهد الذي جاء به في هذا المقام دل على أن المراد بالتأليف هو تأليف في الكلام بين الكلمات مثل :

وَقَبْرُ حَرْبٍ بمَكَانٍ قَفْرُ وَلَيْسَ قَرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

وبالنظر إلى مستوى كل كلمة بمفردها: « قبر» أو « حرب « فإننا لا نجد في هذه الكلمات تنافراً، و إنما منشأ التنافر، يعود إلى تجاور الكلمات في هذا البيت، ثم أشار إلى التأليف المتلائم في الطبقة الوسطى، وذكر له مثال من الشعر ولم يعقب بكلمة واحدة ،ربما يعود ذلك إلى أهمية إظهار بعض الأصوات مثل الراء والميم.

وأما الوجه الثالث: فهو مختص بالقرآن الكريم قال الرماني:« المتلائم في الطبقة العليا القرآن كله،وذلك بين لمن تأمله، والفرق بينه وبين غيره من الكلام في تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى»[2]، والقرآن الكريم كله شواهد على ذلك، إلا أن الرماني لم يأخذ أي آية من القرآن ويقوم بتحليلها من أجل إظهار جمالها الفني في التلاؤم وهذا يعني أن الحديث عن التلاؤم، ربما يكون في بداية المهاد ولم يصل بعد إلى مرحلة التحليل، مع أننا قد وجدناه في باب الإيجاز يحلل ظاهرة التلاؤم وذلك عندما عقد موازنة بين الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾[3]، وقول العرب: « القتل أنفى للقتل » حيث نجده يجعل تلاؤم الحروف وحسن تأليفها عنصرا من عناصر المفاضلة التي تفوقت فيه الآية الكريمة على قول العرب من جوانب عدة أهمها: أن لفظ القرآن أكثر في

(1)- المصدر نفسه، ص: 96.

(2)- المصدر نفسه، ص95.

(3)- سورة البقرة، الآية:180.

الفائدة، ثم أن لفظ القرآن أوجز في العبارة، أبعد من الكلفة بتكرير الجملة، ثم أن لفظ القرآن أحسن تأليفا بالحروف، وفي ذلك يقول الرماني: «.... وأما الحسن بتأليف الحروف المتلائمة فهو مدرك بالحس وموجود في اللفظ، فإن الخروج من الفاء إلى اللام أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعد الهمزة من اللام وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء أعدل من الخروج من الألف إلى اللام، فباجتماع هذه الأمور التي ذكرناها صار أبلغ منه وأحسن... »[1].

وبعد هذا يمكن القول أن الرماني في حديثه عن التلاؤم كان يعتمد على مخارج الحروف ،والنظر إلى سلامتها و سلاستها على اللسان ،وأن جمال التلاؤم قائم: « على متلق خبير صاحب إحساس حادّ بوقع الكلام وبمدى الملاءمة بين نغم الكلمات وأجراسها وبين ما تحمله من معانٍ»[2]، ثم أن التأليف الصوتي عند الرماني مقرون بالدلالات المعهودة به، فليس مجرد سلامة النطق من الثقل، وإنما يجب عند إقامة الموازنة بين البلاغة القرآنية، والبلاغة البشرية، أن تتم هذه الموازنة في ضوء هذا الامتزاج ما بين الصوت والدلالة عندها لا يمكن أن نجد مجالا للمقارنة والموازنة بين بلاغة القرآن وبلاغة البشر، ومثل هذا الكلام يمكن الوقوف عليه في رسالة الرماني من خلال الكشف عن جمال التلاؤم.

الفواصل

إذا كان التلاؤم يبحث في التأليف الصوتي بين الكلمات، فإن الفواصل تبحث عن التناغم والانسجام الصوتي بين المقاطع، وقد عدّ الرماني الفواصل وجها من وجوه بلاغة القرآن الكريم، وإعجازه لما تضفيه على أسلوبه من بلاغة وحسن بيان، إلى جانب القدرة على التأثير في النفوس،

(1)- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص:78.

(2)- عبد الله عبد الرحمن أحمد بالنقيب، مناهج التحليل البلاغي عند علماء الإعجاز، مرجع سابق، ص:128.

لذلك فاق نظم القرآن غيره من النظوم، فهو إعجاز، قال الرماني: «وفواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة»[1]. ثم عرف الفواصل بأنها: «حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني، فالفواصل بلاغة والأسجاع عيب»[2]، ولعله يقصد نهايات، فيفرق بين الفواصل والأسجاع، فالفواصل مصطلح خاص بالقرآن الكريم ، وهو يقابل السجع في النثر، والقافية في الشعر، ويمدح الفواصل ويعيب الأسجاع، لأن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها، وحقيقة الأمر أن هذه مثار خلاف بين العلماء، فمنهم من كره تسمية ما في القرآن سجعا، ومنهم من أجاز ذلك، وأما من كره تسمية ما في القرآن سجعا، يقولون أن الرسول صلى الله عليه وسلم كره السجع ونهى عنه، ما فيه من التكلف والتعسف ودليلهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم:«أسجعا كسجع الكهان»[3]، وقد ردّ المجيزون أن الرسول صلى الله عليه وسلم، لم يكره كلام الرجل لكونه سجعا، وإنما كرهه لكونه سجع كسجع الكهان، وكيف يكره الرسول صلى الله عليه والسلام السجع على الإطلاق، وكلامه يتضمن الكثير منه كقوله عليه الصلاة والسلام: «يقول أحدكم مالي، وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت»[4] .

وقد يكون دافع الرماني إلى رفض السجع وذمه، رغبته في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره، من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم،

---

(1) - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص:98.

(2) - المصدر نفسه، ص:97.

(3) - صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث،عيسى البابي الحلبي، ط1،ج، ص.1311،رقم الحديث:1682.

(4) - صحيح مسلم، تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي، ج4، ص:2273، رقم الحديث:2958.

والطرفان كل منهما ينزل القرآن من البلاغة المعجزة، والجميع على اتفاق بأن ما في القرآن، سواء سميناه فواصل، أوسجعا، فإنه يمثل الصورة الكاملة والمثلى للتعبير البليغ، ووجها من وجوه إعجازه، جمعت بين بلاغة المعنى ومحاسن الصياغة ،فهي طريق إلى إفهام المعاني، «والفائدة في الفواصل دلالتها على المقاطع،وتحسينها الكلام بالتشاكل وإبداؤها في الآي بالنظائر»[1]، ويقسم الرماني فواصل القرآن إلى قسمين:

أولا: الحروف المتجانسة مثل قوله تعالى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣﴾[2]، فكلمة: «تشقى»، «تخشى» هي الفواصل والحروف «الشين والألف المقصورة» متجانسة في الكلمتين، وكذالك قوله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣﴾[3] ، فكلمة « الطور» و« مسطور» هي الفواصل والحروف «الطاء، والراء » متجانسة في الكلمتين.

ثانيا: الفواصل التي بين حروفها تقارب، مثل: الميم والنون في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾[4]، وذلك في النون في كلمتي : «الرحمن، الدين»، والميم في كلمة: «الرحيم»، وأيضا في قوله تعالى:﴿ بَلْ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣﴾[5]، فالحروف المتقاربة في هذه الآية: الدال مع الباء وهي، كالدال في كلمة: « ▯ » والباء في كلمة « عجيب »، غيرأن الرماني يسوق هذه الشواهد

(1) -الرماني، النكت في إعجازالقرآن، مصدرسابق، ص:99

(2) -سورة طه ،الآية:1 - 2.

(3) -سورة الطور، الآية:1، 2، 3.

(4) -سورة الفاتحة، الآية: 3، 4.

(5) -سورة ق، الآية:2، 3.

دون أن يحلل كيفية هذا التجانس للمعنى المعبر عنه والأثر الذي أحدثه في تأديته.

ومن المعلوم أن حسن صياغة الألفاظ، له أثر كبير في إمتاع النفوس، وإطرابها وتهيئتها لقبول تأثير المعاني التي تتضمنها، ولا يبلغ اللفظ مداه في والتأثير، إلا بصحة معناه، ووضوحه وبهائه، إلا إذا أدت إلى إفهام المعاني مع ما يقتضيه من حسن النظم.

التجانس:

وهذا الباب يلتقي مع المبحثين السابقين في مجال الاهتمام بالإيقاع الموسيقي للنص في القرآن فالتجنيس واحد من أبواب البلاغة التي يتحقق بها الإعجاز القرآني، فقد عرفه الرماني« هو بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد »[1]، والتجانس عند الرماني على وجهين: مزاوجة، ومناسبة.

أولا: المزاوجة وهي أن تجعل اللفظة الثانية المتجانسة للأولى زوجا لها، من غير مناسبة بينهما، وتقع في الجزاء مثل قوله تعالى:﴿...فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ [2]، أي جازوه بما يستحق على طريق العدل،إلا أنه استعير للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار، فجاء على مزاوجة الكلام لحسن البيان، ومنه أيضا قوله تعالى:﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤﴾[3] أي جازاهم على مكرهم، فاستعير للجزاء على المكر اسم المكر لتحقيق الدلالة على أنَّ وبال المكر راجع عليهم ومختص بهم، وقد سمى البعض ذلك بالمشاكلة.

---

(1)- الرماني، النكت في إعجاز القرآن الكريم، مصدر سابق، ص:99.

(2)- المصدر نفسه، ص:99.

(3)- سورة آل عمران، الآية54.

وما يلاحظ في هذا المقام أن جل الشواهد التي ذكرها الرماني في هذا القسم، هي التي ذكرت عند البلاغيين المتأخرين في باب المجاز المرسل الذي علاقته السببية، ومن الشواهد التي ذكرها الرماني قول الشاعر:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

فقال: « فهذا حسن في البلاغة، ولكنه دون بلاغة القرآن، لأنه لا يؤذن بالعدل، كما آذنت بلاغة القرآن»[1] يوجد تجانس بين الجهل في الشطر الأول « الظلم» والجهل في الشطر الثاني« ظلم من ظلمنا » فالأول « بمنزلة الأصل والثاني بمنزلة الفرع الذي يحتذى فيه على الأصل فلذلك نقصت منزلة قول العرب الجزاء بالجزاء عن الاستعارة بمزاوجة الكلام في القرآن الكريم»[2]

ثانيا: تجنيس بالمناسبة: « وهي تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد »[3] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾[4]، فهذا نوع من التجنيس قائم على المجانسة بين الكلمات التي تعود في جذرها الاشتقاقي إلى أصل واحد، « فجونس بالانصراف عن ذكر صرف القلب عن الخير، والأصل فيه وأحد وهو الذهاب عن الشيء، أما هم فذهبوا عن ذكر، وأما قلوبهم فذهب عنها الخير»[5]، ومن شواهده أيضا قوله تعالى:﴿... يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾﴾[6]، يقول الرماني: « فجونس بالقلب التقلب، والأصل واحد، فالقلب و تتقلب بالخواطر والأبصار تتقلب في النظر

(1)- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص:100.
(2)- ،مصدر نفسه،ص:100.
(3)- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص:100.
(4)- سورة التوبة، الآية:126.
(5) - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص:100.
(6) - سورة النور الآية:37

والأصل التصرف»[1]، ومن خلال هذا العرض لصورتين من التجانس في القرآن الكريم يتضح أن التجانس يخدم الإيقاع والمعنى، وأن تناغم الألفاظ في نظم القرآن يستدعيه اللفظ والمعنى.

وبعد هذا التحليل فإنه من حق الرماني علينا الوقوف عند رسالته، وإعادة قراءتها،وأن نسجل له هذا الجد العظيم وهذه النظرة المتقدمة، عن من عاصره، وهذه الغاية المثلى التي سعى إليها، بغية الكشف عن بلاغة القرآن الكريم وإظهار الإعجاز البلاغي فيها، فهو في أعلى طبقات البلاغة، وما كان منه دون ذلك فهو ممكن كبلاغة البلغاء من الناس،فالقرآن الكريم كله عند الرماني في الطبقة العليا من البلاغة المعجزة، فهو في الذروة التي لا يرقى إليها بشر فالبلاغة عنده: إيصال المعنى إلى القلب في حسن صورة، لذلك نجده يعتمد على إظهار الإعجاز بالصورة البيانية، والصورة والدلالية، والصورة الصوتية، فكان له ذلك.

(1) - الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ص:100